

التجديد اللغوي عند فرونطو القرطي من خلال مؤلفه "المراسلات"

Linguistic Renewal in Fronton of Citra through his Book "Correspondences"

حسينة حلاق^{*1}، سعاد سليماني²

¹مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط من العصور القديمة إلى العهد العثماني، جامعة الجزائر 2(الجزائر)،

hassina.hallak@univ-constantine2.dz

² جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2، (الجزائر) souad.slimani@univ-constantine2.dz

تاريخ القبول: 2022/05/10

تاريخ الإرسال: 2022/01/28

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أحد الشخصيات الأدبية اللاتينية، في وقت ربط فيه البعض نجاح الرومنة بشمال إفريقيا بمدى انتشار اللغة اللاتينية، غير أن البعض جعل منها أداة للتعبير عن هويته وممارساته، في حين نفر منها البعض الآخر تعبيرا لرفض سياسة الرومانية، إذ يعد فرونطو القرطي (Fronton de Cirta) واحدا من أبرز النخب الثقافية الإفريقية الذي لمع نجمه في روما خلال القرن الثاني ميلادي، فبفضل نبوغه البلاغي والنحوي أصبح واحدا من معلمي الأباطرة، ثم أن تبحره في اللغة اللاتينية، جعل منه أحد أهم المجددين في الأدب اللاتيني وأبرز أقطابه الذين أعادوا له مكانته. كان لفرونطو الفضل الكبير والأثر البالغ في إثراء اللغة اللاتينية من جهة، وإعادة بعثها وتجديدها في وقت هيمنت فيه الإغريقية وأصبحت لغة الآداب من جهة أخرى، وحتى بعد الانكماش الذي عرفته اللغة اللاتينية إذ أصبحت محتقرة من طرف الأرستقراطية الرومانية بعد نعتها بلغة الأرياف.

كلمات مفتاحية: مراسلات؛ أدب لاتيني؛ البلاغة؛ تجديد لغوي؛ فرونطو.

Abstract:

This study aims to shed light of the leadership Latin Literature figures, a time some linked the Romanization success to North Africa with the spread and practices, while others shunned it as an expression of rejection of the Roman politics; Fronton of Cirta is one of these Africane lites, who his star shone in Rome during the second century AD, by his brilliance in rhetoric and grammar, he became one of the emperors teachers, then his exploration of the Latin language made him one of the most important innovators of Latin literature and the most eminent one who gave him a place;

Fronton had an important role and a great impact to enrich the Latin language on the one hand, and to revive it and transform tat a time when the Greek language dominated and became the official language of literature on the other hand, and above all, after the decline of the Latin language, which became despised by the Romanianari stocracy after having denounced it in the rural language.

Keywords: Correspondence; Latin literature; rural language; Rhetoric; Fronton.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة:

خلال القرن الثاني ميلادي برز بروما العديد من الأفارقة الذين تركوا بصمات واضحة في جميع المجالات لاسيما المجال الأدبي، ما جعلنا نخصص ورقتنا هذه للخطيب والبلاغي، معلم الأباطرة المعروف بفرونطو ابن مدينة قرطن النوميديّة (قسنطينة حاليا)، المدينة التي اشتهرت وذاع سيطها بفضل براعة أبنائها في مختلف المجالات بقرطن، وحتى بقلب روما، إذ أضحت واحدة من أهم مراكز الفكر بشمال إفريقيا مثلها مثل يول (Iol) عاصمة موريطانيا القيصرية ومداوروش (Madura) وتاغيست (Thagaste).

يعتبر فرونطو بحق ظاهرة بلاغية وجد لنفسه مكانة في الأدب اللاتيني وذلك بالعودة لروافده الأولى باستخدام اللغة اللاتينية العتيقة (Latin Archaïque)، أمرا ليس باليسير إلا من كان متمكنا في علم اللغة والاشتقاق (La philologie et L'étymologie)، فقد أدرك فرونطو جيدا أين يفتش عن الكلمة المناسبة، كيف يجدها، ومعرفة مواطن توظيفها ومتى يستعملها، صنعت منه بلاغته مرافعا بامتياز، نال بها إعجاب الإمبراطور هادريانوس (Hadrianus) وسلفه انطونينوس التقي، فكان ذلك بمثابة نقلة نحو تألق نجمه في سماء الأدب والبلاغة اللاتينية، ولإبراز قدراته اللغوية اتخذ من النثر وسيلة للكتابة، بها نال وظيفة مدرس أبناء الأباطرة وإمبراطوري روما المستقبلين ماركوس اورليوس وبيرووس لوكيوس، رغم سياسة القصر الإمبراطوري، عرف فرونطو كيف يحافظ على نوميديته وهو بقلب روما.

مراجعتنا قليلة حول هذه الشخصية، بسبب حادثة اكتشاف مخطوط أعماله الذي يعود لمطلع القرن التاسع عشر ميلادي، فرغم الجهود التي بذلها الكاردينال والباليوغرافي الإيطالي أنجيلو ماي (Angelo Mai)، في الكشف عن أعماله بناء على المخطوط المكتشف، غير أن طبيعة المواد المستعملة في عملية كشف محتواه مهمة لم تكن بالسهلة، فتعذر عليه إكمال العملية، إلا أنه مكننا من شذرات جد قيمة تخص شخصية فرونطو وجهوده في تطوير البلاغة اللاتينية خلال القرن 2م، وهو العمل الوحيد الذي وصل إلينا، المتمثل في كتاب المراسلات أو الرسائل¹، هو في الأصل مجموعة من الرسائل تم تبادلها مع أفراد العائلة الأنطونية وأصدقائه بروما أو من مختلف المقاطعات الرومانية خاصة إفريقيا، إذ يقدم لنا محتواها لمحة واضحة عن سياسة التجديد اللغوي التي اعتمدها فرونطو خلال القرن الثاني ميلادي سواء في البلاغة والخطابة، أو من خلال أسلوبه الذي يعتمد على البساطة والاعتدال اللغوي.

إذن نحاول من خلال هذه الورقة تسليط الضوء بالدراسة والتحليل، انطلاقا من التمحيص والتحري مؤلفه الوحيد "المراسلات"، بمعالجة النقاط التالية وفقا للمحاور الأساسية تتمثل فيما يلي:

- العوامل التي ساهمت في نماء المهارة البلاغية عند فرونطو.
- دور البلاغة وأثرها على مشواره السياسي.
- ما الجديد الذي ميز لغته وأسلوبه في البلاغة و الخطابة.
- ما مدى أثر بلاغة فرونطو على الأدب اللاتيني خاصة، واللغة اللاتينية عامة؟

2-سيرته:

ولد ماركوس كورنيليوس فرونطو (Marcus Cornelius Fronto) سنة 100م، بقرطن النوميديّة، إحدى أهمّ المستعمرات الرومانية بشمال إفريقيا، تحت حكم الإمبراطور تريانوس (98 - 117م) (Marcus Ulpius Trajanus) (Monceaux P., 2016, p. 178) ويكشف لنا اسمه انه من العائلات المرونة، كما مكنتنا إحدى النقائش التي عثر عليها بكالاما (Calama) من التعرف على اسم والده تيتوس (sutiT) (Claassen Jo-Marie, 2009, p. 50)، ومع ذلك لم تجعله رومنته يوما يتنكر لأصله أو يتنصل لإفريقيته، أين تبرز لنا إحدى رسائله الموجهة للإمبراطورة دوميتيا لوكيليا (المعروفة بفوستينا) التي يعبر فيها بكل حرارة عن لبيبته بقوله: "أنا لبي من اللبيين الرحل" (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

ينحدر فرونطو من أغنى العائلات بقرطن، ما مكنه من تلقى تعليم راقى منذ صباه، خاصة أن التعليم في إفريقيا خلال الفترة الرومانية كان تعليما نخبويًا، فتلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه قرطن ثم انتقل إلى قرطاجة وبعدها الإسكندرية (Haines, C.R., 1919, p. 32)، لتكون روما آخر محطة دراسية له التي وصلها في سن الثامنة عشر (18)، أين تلقى بها دروس الفلسفة على يد معلمه اثينودوت (Athénodote)، رغم عدم ميله للفلسفة، إلا أن بعض النصوص في مراسلاته تطلعننا على مدى إحاطته بالفلسفة الإغريقية وإلمامه بفكر أكبر روادها، متبنيًا مذهب السفسطائيين²، الذي وجد فيه ما يغذي ملكته الفكرية ويقوي مهاراته اللغوية، وتبرز فلسفته بوضوح كبير في عمله الموسوم "بمدح الدخان والغبار"³ (Charlet J.L., 1998, pp. 2935, 2936).

كان لدروس الخطابة أثرا كبيرا في تكوين بلاغة فرونطو، ما جعله يتحمس لها ولعلمه دونيسيوس (Dionysius)، ويخبرنا عنه دونيسيوس انه استغرق وقتا طويلا في دراسة الخطابة، الذي أصبح واحدا من ألمع أقطابها بروما (Haines, C.R., 1919, p. 32)، كما أشار فرونطو إلى أستاذه في أحد الرسائل، "انه يكن حبا و احتراما كبيرا للحكيم اثينودوت، وانه أحب الخطابة بفضل مهارة وأسلوب دونيسيوس في التلقين، الخطابة التي شكلت محور حياة فرونطو الأدبية، وأبرزته كواحد من كبار بلاغي روما، والتي طالما كان يرى فيها خلاصا للإنسان من الشرور وحماية له من مصاعب الحياة (Banhakeia H., 2016, p. 176).

3 - اثر السياسة في تكوين بلاغة فرونطو

تحكم فرونطو في الخطابة وامتانة بلاغته ساقته نحو طريق الشهرة، فنجده ممارسا بارعا لمهنة المحاماة رغم جهله بالقانون الروماني، إلا أن فصاحته لسانه وقوة الإقناع جعلت منه مرافعا ومحاميا بامتياز (Monceaux P., 2016, p. 177)، إذ يذكره المؤرخ الروماني دون كاسيوس (Don Cassius)، أنه المدافع الأول عن روما (Dion Cassius, Histoire romaine, LXIX, 18)، ولا ريب أن هذا ما جعل الإمبراطور هادريانوس (Publius Aelius Hadrianus) (117-138م) يعجب بمهارته الخطابية ويشيد بأسلوبه في المرافعة أمام أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، فكانت تلك بمثابة خطوة مهمة لدخول فرونطو مبكرا لمجلس الشيوخ الروماني، وهو ابن العشرين (20) سنة، وأنبعت ثمار بلاغته بتشريفه من طرف الإمبراطور، وذلك بتقليده عدة مناصب سياسية وهي على التوالي: أمين خزينة (Questor) بصقلية، قيم (Aediles)، بريطور (Praetor) بروما، وارتقى إلى رتبة قنصل (Consul) سنة 142 م (CIL, VIII, 5350)، وأخيرا عين بروقنصل (حاكما) (Proconsul) سنة 157 أو 158 م (Fleury P., 2010, p. 670)، على مقاطعة أسيا، المنصب الذي تراجع عنه بسبب مشاكله الصحية (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

المناصب السياسية التي وصل إليها فرونطو جعلته أحد المقربين من مجلس الشيوخ الروماني وعلى اطلاع بقراراته السياسية، ما جعله مرة أخرى ينال إعجاب الإمبراطور انطونيوس التقي (Antoninus le Pieux) (139-161م)، فراح هو الآخر يمدح ويشدو بمهارته اللغوية والبلاغية، والأكثر من ذلك تم إصدار مرسوم يقضي بتعيينه مربيا و أستاذا لأبنائه الأمراء ماركوس اورليوس (Marcus Aurelius) (161-180م)، وويروس لوكيوس (Lucius Verus) (161-169) (Fick, 1994, pp. 297,301).

إذن تشريفات كانت جد مناسبة لفرونطو، خاصة منصبه الجديد كمعلم للأباطرة التي سهلت له الإعلان عن أسلوبه اللغوي الجديد، ولعلّ أبرز ما ساعده في ذلك دعوة الإمبراطور هادريانوس الأدباء واللغويين و البلاغيين لتجديد اللغة اللاتينية وإعادة بعث وإحياء الدراسات اللاتينية القديمة خاصة أدب العصر الجمهوري والعصر الإمبراطوري الأول، بعد حالة الركود التي عرفها الأدب اللاتيني وانكماش اللغة اللاتينية بسبب هيمنة اللغة الإغريقية مع القرن 2م، التي أصبحت لغة الآداب ولغة التخاطب الأرستقراطي، ما جعل فرونطو يأخذ على عاتقه مسؤولية إعادة الاعتبار للبلاغة اللاتينية، لعله يجد بذلك لنفسه نوعا وأسلوبا جديد في الخطابة (Elocutio) NouellaK يهدف من خلال قواعدها الحفاظ على تقاليد الأدب بداية من أواخر العصر الجمهوري إلى بداية العهد الإمبراطوري (Fick Nicole, 1994, p. 298).

في سبيل ذلك رسم لنفسه منهجا دقيقا لبعث الأدب اللاتيني، بداية بتحري دقيق و حسن استخدام المفردات باعتبارها مرآة عاكسة للأدب، كما لجأ إلى ظاهرة الاقتراض اللغوي من أدب

العصر الجمهوري واللغات التي كانت منتشرة بمختلف المقاطعات الرومانية خاصة إفريقيا، التي عرفت باللاتينية الريفية (La langue Rustique)، التي وجد فيها اختلافا كبيرا عن لاتينية المدن الإيطالية، إذ يعتبرها لغة نقية وبعيدة عن أي تغيير أو تداخل، وبذلك يمكن لها حسب، أن تحد من عمق تأثير اللغة الإغريقية التي تسربت إلى الأدب اللاتيني (Fick Nicole, 1994, p. 298)، كما استغل فرونطو فرصة تعيينه معلم الأباطرة مجالا لتوسيع معارفه الخطابية والبلاغية، ووضعه لأسس مدرسة تتبنى مستقبلا أسلوبه الفرنطوني (Budaragina O., 2014, p. 51)

لجأ فرونطو في استحدثاته للكلمات اللاتينية الجديدة إلى بعض الأدوات اللغوية، فوظف حروف الزيادة على الفعل والاسم بغية تقديم معاني جديدة، كما استعان بأدوات الاشتقاق من أجل توليد مفردات جديدة، مدركا أهمية الاشتقاق اللغوي في اللغة، لما يقدمه لها من توسيع في دائرة مادتها وإثرائها بمصطلحات تواكب بها مستجدات الحياة في معظم مجالاتها، كما وظف العديد من مفردات اللاتينية الإفريقية، خاصة التي تميل صيغها النحوية إلى التوسع والامتداد، وسهولة قواعدها التي تطبق في حالة الكلمات الطويلة، التي ساعدته كثيرا في استعمال الكلمات المركبة والطويلة التي بلغت إحدى عشر مقطعا لفظيا (Hendécasyllabes) بأعماله (Monceaux P., 2016, p. 169).

ميز فرونطو بين المفردات التي لها صيغ فردية والمفردات التي تقبل الجمع، فرغم تحفظه اللغوي، إلا أنه أقترح كثيرا من اللغة الإغريقية بعض المصطلحات من أجل استحداث كلمات جديدة وإثراء قاموس اللغة اللاتينية (Claassen Jo-Marie, 2009, p. 68).

كما وجد في لغة كتاب العصر الجمهوري وبدايات العصر الإمبراطوري، خاصة أدباء الحلقة الأوغسطية، زادا لغويا يقوي به قاموسه اللغوي، فأخذ من رواه سواء الإغريق أو اللاتين، كأشعار اينوس (Ennius)، كوميديات بلاتوس (Plautus)، خطب كاتو (Marcus Porcius Cato)، الأسلوب التاريخي الراقي عند تيتوس ليفيوس (Titus-Luvius)، بلاغة كيكرو (Marcus Tullius Cicero) والتحليل الخلفي للتاريخ عند سالوستيوس (Cripus Sallustius)، مقترضا من أسلوبهم، كما اقترح منهم الحكم والأمثال والكلمات القديمة المتداولة بكثرة في عصرهم، غير أنه عرف كيف يدمجها في أسلوب يتماشى ويواكب لغة وثقافة عصره، خاصة أن هذه اللغة أصبحت مهجورة وغير معروفة في الأوساط الرومانية خلال العصر الإمبراطوري، هذا الأسلوب جعله محل إعجاب من طرف العديد من الكتاب فيما بعد، من بينهم القديس جيروم (Jérôme) وأبوليناغ القرطاجي (Sidoine Apollinaire) اللذين أشارا إلى ذوق فرونطو الرفيع في حسن اختياره للكلمات التي تتميز بجاذبيتها (Gravitas)، وأسلوبه الفاخر، وتفننه في اختيار الكلمات ومتانة لغته (Monceaux P., 2016, p. 193).

رغم تمكّن فرونطو من اللاتينية والإغريقية، غير انه لم ينسَ يوما لغته الأم، فقد كان متمكنا من اللغة الليبية وحتى البونيقية، خاصة انه قضى كل صباه وجزءا من شبابه بالأراضي الإفريقية. ورغم ما بلغه من مكانة في روما سواء بمجلس الشيوخ الروماني، وقربه من أفراد العائلة الانطوانية بداية من الإمبراطور هادريانوس إلى ماركوس اورليوس، لم يشر يوما إلى أنه روماني، وكونه متحدثا لاتينيا أثناء تواجده بروما، لم ينكر افرقيته، بل ظل يشيد بكل فخر إلى لبيته و إفريقية (Fronton, Lettre, III, A: M. César)، وطالما كان يستحضر في دعائه الآلهة المحلية ويذكر في احد رسائله: "لقد صليت لآلهة وطني بعل حامون" (Fronton, Lettre, III, A: M. César)، وفي توصية له لأحد أصدقائه الأفارقة يوليوس كلاسينوس (Julius Classinius)، لأحد الشخصيات السياسية بقرطاجة، يذكره أنه أحد أبرز الأفارقة نشاطا بروما" (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

4- أسلوبه الكتابي في المراسلات

شكلت البلاغة والخطابة العمود الفقري لعمل فرونطو اللغوي في مؤلفه المراسلات، حيث أولى اهتماما كبيرا لهما، ولعل أهم ما ميز المراسلات اهتمامه الكبير بالجانب البلاغي، وعنايته باللغة، ويتضح لنا هذا الأسلوب المتين في:

1-4- في البلاغة

تميز أسلوب فرونطو في البلاغة بالسهل البسيط، أسلوبا نادرا ما نجده عند رفقاءه من الكتاب الأفارقة، إذ يسرّله اطلاعه الواسع على الأدب اللاتيني القديم، وتحكمه في اللغة اللاتينية وقواعدها حسن استخدام الكلمات وتوظيفها (Claassen Jo-Marie, 2009, p. 69)، رأينا كيف لجأ إلى لغة القدماء واقتبس منهم كلمات واستلهم منهم أفكارا عديدة، ومن أجل وضع لمسة من الجمال والجادبية على لغته، وجد غايته في لغة الشعراء إلى جانب انيوس، اقتبس أيضا من أسلوب لوكيليوس (Lucilius)، لوكراتيس (Lucretius)، وغيرهم (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

وقد شاع هذا الأسلوب الكتابي الذي يعتمد على توظيف اللاتينية العتيقة، عند عدد كبير من الكتاب، يمثلهم سالوستيوس، سينيكا (Sénèque)، تاكيوس (Cornelius Tacite Publius)، بلينيوس الصغير (Pline le Jeune)، فلوروس (Florus)، هذا الإفريقي أصيل مدينة قرطاجة، الذي ورث عنه نفس التقاليد الكتابية، غير أن فرونطو وجد لنفسه أسلوبا خاصا به، ويمكن لنا تتبعه خلال قراءتنا الدقيقة لمراسلاته، فتبرز لنا بوضوح براعته في تجديد الكلمات العتيقة (néologisme)، وجهوده الكبيرة في إزالة كل إبهام وغموض عنها من أجل تسهيل قراءتها، وحذره الشديد في توظيف الكلمات التي تخدم أسلوبه، لا أن تنقلب عليه وتسيء لكفاءته اللغوية، ما جعله واحدا من اكبر رواد مدرسة التقليد الكلاسيكي خلال القرن 2 م، متبعا في ذلك أسلوب

المؤرخ تيتوس ليفيوس في تفتيشه عن الكلمات عندما ذكر: "إن التفتيش عن الكلمات أحيانا يوقعنا في مصيدة الفئران (Fronton, Lettre, III, A: M. César)

حرص فرونطو أن تكون للكلمة قيمة ومعنى، ونبه إلى حسن توظيفها في الجملة حسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع، والمعنى المراد منه، كون أن كل موضوع يستلزم ويفرض على صاحبه استخدام كلمات معينة وخاصة، كما نوه فرونطو في هذا المجال إلى موقع الكلمة في الجملة، فمن أجل القيام بوظيفتها على أحسن وجه، وأن تأخذ شكلها الأخير ضرورة مرهون بمهارة الصياغة اللغوية، هذا ما يفسر لنا صرامته وشدته الكبيرة مع طلابه، حيث اعتمد منهجه الدراسي في تدريب الطلاب على مقاطع خطابية ونصوص إغريقية ولاينية مثل نصوص كيكرو، سالوستيوس، كاتو، وخطابات كل من سكيبيو وكوليوس (Coelius)، قيصر (César)، وبعض مقاطع الكوميديا اللاتينية التي تعود إلى القرن الرابع ق.م، حيث كان يعتمد تقديمها في شكل مبعثر أو ناقصة بحذف بعض المقاطع، ويطلب منهم ترتيبها، وإكمال الفراغ فيها، ثم شرحها، وأخيرا ترجمتها من الإغريقية إلى اللاتينية أو العكس (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

تمارين لغوية صعبة، ولكن كان هدفه من ذلك أن يرتقى بالبلاغة إلى أعلى مستوياتها، وأن يعطيها حقها، ويمكها في نفوس طلابه خاصة ماركوس اورليوس، فالكلمة عند فرونطو جد مقدسة، وقد أكد مرارا وفي كل مناسبة على ضرورة انتقاء الكلمات ذات دلالة، فالكلمة المهجورة التي تجاوزها الزمان في نظره غير مقبولة لغويا، كونها لا تؤدي أي غرض، وهي بذلك غريبة عن الأذن ومهمة المبنى والمعنى، مستدلا لنا بالكلمات التي كان يوظفها نايوس (J. Naevius) في أعماله الكوميديا، جملها كلمات ريفية، أي تتعلق ببيئة نايوس، وهي بذلك كلمات لا يفهما غير كاتبها، كما وجد فرونطو أن بعض الكلمات ليس لها بديلا وغير قابلة للتغيير، مستشهدا بالكلمات المستعملة في الأوديسة، حدث وإن غيرت أو استبدلت يحدث خللا في معناها (Fronton, Lettre, III, A: M. César)، لذلك كان دوما يوصي طلابه بالاهتمام بالكلمة ومعناها، وتقديمها في شكل أنيق من خلال توظيف الصور البيانية بمختلف أنواعها، كونها تعطي للكلام صدى وتترك على النفس أثر، مثلها مثل نغمة صوت الناي التي تجذب الأذن بإيقاعها الساحر، لا أن تنفر وكأنها صوت بوق، كما شبه فرونطو اللغوي في تعامله مع الكلمات مثل النحات في نحته للأحجار الكريمة، وحذره الشديد أن لا يصيبها بضربات معوله (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

منهجية مكنت فرونطو في الوصول إلى تركيب جمل على شكل هرم، مراعي أهميتها، وظيفتها، ونسقا (Monceaux P., 2016, p. 197)، دون أن يغفل على أهمية الأسلوب ومعنى ومبنى الكلمة، واهتمامه بعلم البيان (الصور البيانية)، الذي أخذ حيزا كبيرا في أعماله، وبه زين خطابه، فوظف المجاز والطباق والتشبيه والكنيات بشكل كبير (Fronton, Lettre, III, A: M. César)، كقوله: "بحر عاصف بلا ميناء، حقل خصب بلا محاصيل، جيد للرعي، قاحل للأشجار،

السماء والأرض بلا مياه، جلها معاني حقيقية ذات إحياءات، كما وظف التكرار بكثرة من أجل حصوله على كلمات جديدة، غير أن التكرار عنده مشروطا بدمج الكلمات وربطها بمهارة فنية حتى تقوي المعنى المراد من الكلمة الجديدة (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

2-4- في الخطابة

أدرك فرونطو منذ البداية أن الطريق الصحيح لبلوغ الخطابة الفعلية يكمن في مدى تمكنه من البلاغة وتحكمه في أدواتها، ما جعله يبرز كبلأديب كبير في عصره، ولا شك أن اطلاعه على أعمال الخطيب والبليغ الروماني ماركوس فاييوس كوينتيليانوس (M.F. Quintilianus) قدم له الكثير، ومنحه منهجية منظمة ودقيقة، جعل جل خطبه مسموعة من طرف الجمهور، وحتى مجلس الشيوخ الروماني (Haines, C.R., 1919, p. 38).

براعته الخطابية التي جعلت منه خطيبا بليغا ومميزا، دفعه بالسهر دوما على أن تحمل في مضامينها نوعا من الأبهة والرفعة خاصة أمام أعضاء مجلس الشيوخ، إذ ركز مليا على المقاطع التي تجعل الجمهور يقف مُصَفِّقا لها، فمثلا يحكم المتفرج في المدرجات على المصارع ينطبق ذات الشيء على المجالس التي تحكم على الخطيب بأذنها، وبذلك يعتبر فرونطو الجمهور بمثابة الحاكم الأول والأخير على خطبه (Monceaux P., 2016, p. 139)، وفي سبيل ذلك حرص فرونطو في أعماله الخطابية إلى خلق نوعا من التوازن بين الجمهور وذوقه، ومتطلبات عصره اللغوية، وسياسة مجلس الشيوخ الروماني (poignault Rémy, 2013, p. 19).

فالخطيب الناجح حسب، الذي يحترم معايير الخطابة بداية من إرضاء المستمع إلى المحافظة على بلاغته، وفي سبيل ذلك لابد للخطاب أن يلتزم بهذه المعايير، بداية من الابتعاد عن الكلام غير الدال، وتوظيف كلمات بغرض استمالة الأشخاص، أي ربطها بأغراض معينة وشخصية، أو توظيف كلمات مهجورة، أو الاستشهاد بشخصيات غير معروفة، فحسبه جميعا ميزات لا تحترم المعايير الاجتماعية للخطاب وتسيء إليه ولا تحقق أي معنى، فكان في مراسلاته مع ماركوس أورليوس يوصيه أن تتضمن خطاباته كلمات خفيفة ورقيقة ذات معنى دقيق، ويوصيه دوما بتزيين أقواله بأقوال الحكماء وجميع الفنون، ويحذره أن يكون كلامه بوقا منفرا، ويحثه دوما على توظيف صورة والده انطونينوس التقي في خطابه، وكلما سمحت له الفرصة، وبذلك تبقى كلماته عالقة في أذهان الناس، كورع والده ومكانته عند الشعب الروماني، وهذه الطريقة التي قدمها فرونطو تبرز قوة أفكار الخطيب في كيفية التعبير عنها وتصل بوضوح للجمهور (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

5- تأثير المدرسة الكلاسيكية على أسلوب فرونطو اللغوي:

توجه فرونطو إلى ظاهرة الاقتراض اللغوي خاصة لغة وأسلوب المؤرخين القدماء، يعلل لنا هدفه وسعيه الحثيث في إثراء القاموس اللغوي اللاتيني من جهة، ومن جهة أخرى بغية تطوير

أسلوبه لاكتساب مهارات لغوية وبلاغية جديدة، كل ذلك جعله ملما بالأدب الإغريقي واللاتيني القديم، كما كشفت لنا إحدى رسائله إلى لوكيوس ويروس اطلاعه على جميع الفنون، إذ يقدم لنا فيها قائمة طويلة لأبرز الرسامين والنحاتين القدامى أمثال: النحات الإغريقي فيدياس (Phidias) الذي ذاع صيته في كل انحاء العالم القديم بنحته المشهور للإلهة كناخوس الأسطورية (Canachus)، كما يعد له قائمة من الشعراء وخصائص أسلوبهم، مثل لوكيليوس وانيوس اللذان عرفا بتنوع مواضيعهم، باكيوس (Pacuvius) الذي يرى فيه افتقار للموهبة الشعرية، ينتقل بعدها إلى الخطابة ليقدم لنا قائمة من ألمع وأشهر الخطباء وأساليبهم الكتابية أمثال: بيكتور (Pictore) الذي عرف بأسلوبه المتقطع وعدم التسلسل الذي اثر على ترتيب كلماته، كلاديوس (Cladius) الذي عرف بأناقة أسلوبه، أنتياس (Antias) الذي يرى في كلماته أنها تفتقر للجدية، كاتو (Cato) الذي عرف بخصوبة أفكاره، وتوظيفه لكلمات سياسية، التي تعكس اهتمامه بالجانب العسكري (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

غير أننا نجد أسلوب وكلمات سالوستيوس أخذت قسطا كبيرا في مراسلاته، إذ وجد في أسلوبه تقاربا كبيرا في منهج كتابته، وبذلك ابتعد عن الأسلوب الكبير كبروني وعاد إلى اللاتينية الأولى ونهل منها الكلمات العتيقة والعامية ثم انفرد بالإيجاز في الفكرة والشكل، هذه الميزات كانت جوهر أسلوبه الجديد (حارش محمد الهادي، 2019، صفحة 02). وقد أثنى فرونطو كثيرا على أسلوبه لأنه كان يحسن استعمال الصور البيانية، أو كما يطلق عليها الإغريق الاتجاهات أو المواقف، هذا ما جعل الكتاب الإغريق فنانين في التاريخ، كما مكنه أسلوبه من حسن توظيف الأضداد التي ساعدته كثيرا في إبراز لغته وتزيين أسلوبه كقوله: "الجشع من أجل خير الآخرين والإسراف من أجلهم ببلاغة كافية، يقلل من الفطرة الإنسانية" (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

كما أبدى فرونطو أيضا إعجابه الكبير بأسلوب كيكرو وصفاته، حيث اخذ منه بإسهاب ما جعله يحمل لقب "كيكرو الجديد"، كما أن مساره المهني كخطيب ورجل دولة، كان له وقعا في حياته مما يوحى لنا بمدى تأثير كيكرو الكبير على الأجيال التي جاءت من بعده (Monceaux P., 2016, p. 139). وقد اعتبره فرونطو أكبر قاموس لسانی للغة اللاتينية (Haines, C.R., 1919, p. 38)، وأعظم بلاغي بروما الأول والأخير في البلاغة، حتى انه معلما صالحا لكل زمان ومكان، وأيضا من أشهر الرجال والشخصيات المعروفة في الخطابة، كما أعجب كثيرا برسائله التي تمثل الوجه الحقيقي لكيكرو، التي يعتبرها أحسن من أعماله الخطابية (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

فرغم مكانة كيكرو عند فرونطو، إلا أن ذلك لم يمنعه من توجيه نقد للغته في الكتابة بسبب توظيفه لكلمات غير معروفة ونادرة الاستعمال وإفراطه في استخدام التكرار، فرغم أهمية التكرار اللفظي في الاتساق والانسجام، فيرى فرونطو انه لا يتحقق إلا بشروط وفي حالات لغوية

معينة، وأن سوء توظيفه يحدث فوضى في الكلمات و يفقدها المعنى (Fronton, Lettre, III, A: M. César).

كان هدف فرونطو من توظيف مقاطع للمؤرخين القدامى ليس فقط لتدريب طلابه، بل فرصة لاكتساب الأخلاق، فالبلاغة بالنسبة له منبعاً للفضيلة حيناً، ومصدراً للقوة وزرع الحماس في الجانب العسكري حيناً آخر، ففي رسالة له إلى ويروس في حربه على الفرثيين ببلاد الفرس، يوصيه أن يتعلم من قوة خطاب حنبعل وأثره في ضبط الجنود الأفارقة في حربه ضد الرومان خلال الحرب البونيقية الثانية (poignault Rémy, 2013, p. 19.20).

تميز فرونطو ونبوغه في البلاغة جعله محل ثناء واعتراف لهذه العبقرية اللغوية المتفردة من قبل الأساتذة الذين عملوا معه في القصر الإمبراطوري أثناء مرحلة تدريس الإمبراطورين ماركوس أورليوس ولوكيوس ويروس، أبرزهم فابيوس سيروس (Fabius Sevrius) من تريستا الإيطالية (Trieste) مدرس الفلسفة، المؤرخ الاسكندراني ابيانوس أحد الأصدقاء المقربين منه، يستثناء هيرود اتيكوس من مدينة ماراثوناس الإغريقية (Marathon) الذي كان على خلاف معه (Monceaux P., 2016, p. 188)، كما يذكره أولي جالوس (Aullu –Gelle) في مؤلفه اللبالي الآتيكية، أنه في أحد المرات زاره الفيلسوف فاورينوس، فوجده رفقة أصدقائه يتناقشون حول موضوع أسماء الألوان ومعانيها، وهنا ألقى عليه الفيلسوف مقطعاً للشاعر انيوس حول الألوان تعسر عليه فهمه، فراح فرونطو يشرح له المقطع بتفصيل ومهارة لغوية المعتاد بها، ما جعل فاورينوس ينهر ويعجب بمدى سعة معارفه وأناقته لغته (Aullu Gelle, Nuits Atiques, XXVI, Liv., II)، ما عرضه لمنافسة شديدة مع معاصريه أمثال أبوليناغ القرطاجي (Apollinaire de Carthage) والاسباني أنطونيوس يوليانيوس (Antonius Julianus) الذي عرف ببلاغته ولهجته الأيبيرية واطلاعه على التاريخ الروماني القديم، (Monceaux P., 2016, p. 185.186).

6- خاتمة:

رغم شح المعطيات الأدبية حول هذه الشخصية اللغوية، التي صعبت علينا دراسة أعماله نظراً لطابعها الذي كان عبارة عن رسائل، وحادثة أعماله المكتشفة التي تعود لمطلع القرن التاسع عشر، ومع ذلك مكنتنا هذه المداخلة التي انطلقت أساساً من عمله الوحيد للوصول إلى هذه النقاط:

- دور وأهمية المراسلات بروما، خاصة فترة حكم الأسرة الانطوانية، ومدى حرصها على أهمية البلاغة في الخطاب .

- تحكم فرونطو ومدى معرفته باللغة اللاتينية وقواعدها، وإطلاعه الواسع على الأدب اللاتيني للعصر الجمهوري وأوائل العصر الإمبراطوري، ساعده كثيرا في إعادة بعث اللغة اللاتينية وإعادة تجديدها في وقت انتشرت فيه الإغريقية بروما بشكل مكثف، وهذا بعدما أعاد للكلمات وزنها وقيمتها.
- دور المقاطعات الإفريقية في إثراء القاموس اللغوي لفرونطو من حيث الكلمات؛ فهو الذي وجد في اللاتينية الإفريقية الريفية صورة تعكس الأدب اللاتيني الحقيقي، رغم شكلها البربري إلا أن مضمونها كان يحوي كنزا لا ينضب.
- دور فرونطو في تجديد الأدب اللاتيني خلال القرن 2م، من خلال إعادة بعث البلاغة والخطابة اللاتينية، بعدما هيمن الأدب الإغريقي والأسلوب الكيكيروني على روما، وذلك ببعث اللاتينية العتيقة واستحداث كلمات جديدة باستعمال المهارات اللغوية، التي لا يمكن لأي كان أن يقوم بها، ما يعكس لنا قوة اللغة وتحكم هذا الإغريقي في القواعد البلاغية وتفننه فيها، وبذلك يبرز لنا نموذج فرونطو ومساعيه اللغوية، دور النخب الإفريقية في الحفاظ على اللغة اللاتينية التي كانت وقت ما لغة يخجل منها الروماني الأرستقراطي.
- يمثل فرونطو نموذج النخبة الإفريقية التي شقت لنفسها طريقا بروما بفضل براعته في الخطابة وتحكمه في أساليبها، وإن عمله كمعلم لأبناء الإمبراطور وتقلده مناصب سياسية مثال آخر على تميز وتألق الأفارقة في شتى الميادين بقلب روما.
- يمكن اعتبار أسلوب فرونطو طريقا ممهدا للعديد من النخب الأدبية الإفريقية التي تبنت أسلوبه في الكتابة أمثال: فلوروس أنيوس صاحب مختصر تاريخ الشعب الروماني، أبوليوس لوكيوس ثم ترتوليانوس.
- بلاغة فرونطو ومهارته الخطابية ونجاحه الأدبي بروما، وفي نفس الوقت تمسكه وتشبثه بآفريقيته، يطرح لنا العديد من الإشكاليات حول موضوع النخب الأدبية الإفريقية، ودورها الكبير في تطوير الأدب اللاتيني، ولعلنا أبرزها مفهومي الرومنة والليتنة، التي لا تزال مفاهيم ومواضيع جدلية بين العديد من الباحثين. وهل يمكن لنا في هذا السياق اعتبار النخب الإفريقية نتاجا لسياسة الرومنة، وهل الليتنة التي دخلت تحت ظلها العديد من شعوب التي كانت تحت حكم روما، بما فيها المقاطعات الإفريقية كانت نافذة من خلالها عبر عن مظاهر رفض السيطرة الرومانية بشكل حضاري؟.

التعليق :

¹ المراسلات: صنف في خمسة كتب، وهي عبارة عن رسائل متبادلة بين فرونطو والإمبراطور انطونينوس التقي (Antoninus le Pieux)، وزوجته لوكيليا دوميتيا (فوستينا) (Demitia Lucillia)، وأبنائه الأباطرة ماركوس أورليوس (Marcus Aurelius) وويروس لوكيوس (Vurus Lucius)، ورسائل إلى أصدقائه، تضمنت مواضيع مختلفة أبرزها: المسائل السياسية والتربوية، والمنهج التعليمي الذي تبناه أثناء تعليم الأباطرة، إلى جانب المراسلات تم تصنيف بعضها إلى كتب ويتعلق الأمر بأعماله البلاغية وهما حول البلاغة وحول الخطابة، كتب فلسفية وهي مدح الدخان والغبار، مدح الإهمال، كتاب ديني تناول فيه أعياد الالسيوم الرومانية، وكتاب قصصي تحت عنوان آريون، للاطلاع على محتواها عد إلى المراسلات :

Fronton, lettres, L., VIII, A. Antoninus pieux Augustus, Fronton, Trad. M., Amand Cassan, Le vavasseur Libraire, 1830, Paris.

² مذهب السفسطائيين (Sophisme): ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد في اليونان، كمدرسة تتبع مذهب فلسفي فكري، إذ تتميز باهتمامها بالبلاغة والجدل وفن جذب الجمهور، ويعتبر بلوتارخوس من رواد المدرسة السفسطائية الذي أسس أفكار المذهب السفسطائي، وتقوم فلسفته أساساً على أن الإنسان هو الأساس لقياس كل شيء فقياس الصواب والخطأ يأتي نتيجة تحديات الإنسان، عد إلى: (J.Sophism, dictionary.com) اطلع عليه بتاريخ 2021/03/12.

³ مدح الدخان والغبار: واحد من المؤلفات الفلسفية التي يعالج فيها موضوع ديني بطريقة فلسفية، إذ يعد فيه الدخان والغبار واحد من الآلهة غير المرئية، التي لها دور مهم في حياة الإنسان، وموجودة معنا في كل ممارستنا اليومية، إلى جانب عمل فلسفي آخر تحت عنوان مدح الإهمال، الذي يعالج فيه موضوع الإهمال الذي يعاني منه الإنسان برؤية، ومن زاوية إيجابية وبفضله وصل الأدب في العصر الجمهوري إلى أرقى مستوياته. لتفصيل أكثر عد إلى مؤلفيه: Fronton, Eloge de la négligence, Livre III; Eloge de la fumée et de la poussière, livre II

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية

1. حارش محمد الهادي، (2019)، *يوغرتة الملك في مواجهة روما*، المؤسسة الوطنية للفنون

المطبعة، ENAG، الجزائر.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

1. Aullu – Gelle, (1842), *nuits Attique*, trad. Nisard, Libraires Garnier, Paris.
2. Budaragina Olga, (2014), *M. Cornelius Fronton, A. Man of Letters and his lettres*, in; "Letters, N.E.C., Yearbook".
3. Charlet JL, (1998), *Fronton*, "Encyclopédie berbère", Filag, 18.
4. Claassen Jo-Marie, (2009), *Cornelius Fronton; A Libyan nomad at Rome*, in; "Acta Classique", Cambridge University Press.
5. Dion Cassius, (1861), *Histoire romaine*, LXIX, 18, trad., E. Gros, Librairie de Firmin Didot, Paris.
6. Fronton, (1830), *lettres*, Trad., M., Amand Cassan, Le vavasseur Libraire, Paris.
7. Fink Nicole, (1994), *Fronton et la culture: M.A. Levi, Ricerche sur Fronton*, Atti della Accademia Nazionale dei Lincei, In: "Dialogues d'histoire ancienne", vol., 21, nu., 1.
8. Haines C. R., *the correspondances of Marcus Cornelius Fronton*, William Heineman, London. 1919.
9. Monceaux Paul, (2016), *les Auteurs Latine d'Afrique (la littérature Latine d'Afrique)*, livres édition, Alger.
10. René Marche, Renard Marcel, (1956), *La critique littéraire de langue latine et le développement du goût archaïsant au IIe siècle de notre ère*, in; "L'Antiquité classique", t. 22, Fasc., 1.

11. Pascale Fleury, (2010), *L'orateur et le consul : Fronton conseiller du Prince*, "Cahiers des études ancienne" , XLVII.
12. poignault Rémy,(2013), *Exercices rhétoriques dans la correspondance de Fronton*," Cahiers des études a anciennes ", Nu., L.